

الفصل الثاني عشر

أوربا بين الحربين العالميتين

في أعقاب الحرب العالمية الأولى انهار العديد من النظم السياسية في الدول المهزومة في حين استقر النظام البرلماني والمذهب الحر في الدول المنتصرة . وبالنسبة للدول المنهزمة فقد ظهرت فيها مذاهب سياسية جديدة ذات صبغة متشابهة وصفات مشتركة تتمثل في احتقار الحرية والنظام الديمقراطي والأنظمة البرلمانية ، بحجة أن هذه الأنظمة لم تجد حلولاً لمشاكلهم ، كما أنها أصبحت لا تتلائم ، والظروف الصعبة التي يعيشون فيها خاصة وان ظروف الحرب أدت الى انحطاطها وفقدانها لرونقها ونتيجة لذلك انفجرت الثورة في برلين ، ونجحت أقلية من الاشتراكيين في اقامة جمهورية اشتراكية في ألمانيا .

وفي « هونغاريا » أدى البؤس ونقص التموين والبطالة الى نمو الحركات المتطرفة مما اضطر ملكها للتنازل عن العرش بعد قيام الثورة ضده وأعلن عن قيام حكومة شيوعية فيها ولكنها لم تستمر طويلاً لوقوف الحلفاء ضدها .

وفي روسيا انتشرت النوضى بعد قيام الحرب الأهلية فيها وانتابها عدم الاستقرار السياسي ، وحدث العديد من المعارك بين أنصار الحكومة البولشفية والروس البيض انتهت باستقرار الشيوعية في روسيا .

هذا عن الدول المنهزمة وما حدث فيها من تطورات سياسية أما عن الدول المنتصرة كإنجلترا وفرنسا فقد سادها الهدوء السياسي ، واستقر فيها النظام الديمقراطي المتين في الحرية الفردية في الفكر والعمل المستمد سلطته من البرلمانات التي تمثل أفراد الشعب .

وفيما يلي نعرض لللائحة الدكتاتورية الجديدة التي ظهرت في أعقاب الحرب وهي البلشفية والفاشية والنازية .

أولا — روسيا والثورة البلشفية :

قبل التطرق الى موضوع البلشفية ينبغي أن نتعرف أولا على أحوال روسيا قبيل ظهور البلشفية والعوامل التي ساعدت على انتشارها .

من المعروف أن روسيا بلاد مترامية الأطراف وتمتد حدودها في قارتي آسيا وأوربا حيث تمتد من التخوم الألمانية الى حدود الصين الى شواطئ المحيط المتجمد الى هضاب ايران وجبال القوقاز ، وكان القيصر يعد الحاكم المطابق على كل الروس ، واراوته هي القانون .

ونتيجة للبؤس والتخلف والتعاسة التي كان يحيها الشعب الروسي فقد حاول بعض القياصرة مثل القيصرة كاترين الكبرى تغريب بلادها ، وكان للأفكار التحررية الصادرة عن الثورتين الأمريكية والفرنسية صداها في روسيا ، فقد اعتملت في نفوس بعض النبلاء والطلبة الروس ، أفكار العدالة والمساواة بين الناس ، وحرية التعبير عن الرأي ، والمشاركة في حكم البلاد ، وهالهم الفروق بين معيشة السادة الروس ، ومعيشة عامة الشعب الذي كان من حق سادته جلده دون محاكمة ، ولم يكن في روسيا في ذلك الوقت طبقة وسطى لتصل ما بين طرفي المجتمع .

ولقد قام الفلاحون بثورات خطيرة ولكنها قمعت ، كما ثار جماعة من ضباط الجيش ذوى الميول التحررية في عهد نقولا الأول في عام ١٨٢٥ ولكن قمعت ثورتهم . ومع ذلك استمرت ثورات الفلاحين وفيما بين ١٨٤٥ و ١٨٦٠ هبت انتفاضات عديدة في أماكن متفرقة من روسيا قتل فيها الكثير من ملاك الأراضي ، ولكي يسيطر القياصرة على الموقف أقاموا شبكة من الجواسيس ونظموا شرطتهم السرية وجعلوا من سيريا منفى اثرى الفتن وعندما تولى العرش القيصر اسكندر الثاني كان واسع الأفق ، فاعتق العبيد الروس كما أصلح المحاكم ، وأنشأ مجالس محلية لتدبير الشؤون المحلية مما أغضب النبلاء ، هذا الى جانب أن دعاة الإصلاح

كانوا يطالبون بما يفوق اصلاحات القيصر ، وبمقتل اسكندر الثانى فى عام ١٨٨٤ استمرت الفوضى فى أنحاء روسيا وتكونت الأحزاب الثورية وازداد أعضائها ، وانتشر الفوضويون الذين يؤسوا من اصلاح الحكومة ، وطالبوا بالقضاء على كل الحكومات وكل الحكام . كما انتشر الشيوعيون الذين يطالبون بتملك الاراضى والصناعات للشعب ، والاشراف عليها لضمان توزيعها على الجميع توزيعا عادلا . وفى الوقت الذى كانت روسيا تتأهب فيه للثورة . استمرت اضرابات العمال .

وخلال تلك الفترة كانت أطماع روسيا التوسعية يتنابها الفشل فالى عام ١٧٨٣ لم يستطع الروس أن ينتزعوا شبه جزيرة القرم من الأتراك العثمانيين الذين حاربوهم احدى عشرة مرة كما كان من نتائج التوسع الروسى فى الشرق الأقصى قيام الحرب بين روسيا واليابان فى عام ١٩٠٥ وفيها منى الجيش والبحرية الروسية بخسائر فادحة على يد اليابانيين ، مما زاد من تمرد الساخطين . فقامت فى موسكو ثورة مسلحة ، وخرج ثلاثة ملايين من العمال مضربين عن العمل ، وتمكنوا من تخليص السجناء السياسيين .

ولما استدعت الحكومة قوات الجيش للتدخل رفض رجال الجيش القضاء على هذه الحركة مما اضطر القيصر الى منح البلاد دستورا وبرلمانا (مجلس الدوما) وعلى الرغم من ذلك قام الفلاحون البالغ عددهم ٧٥ مليوناً باضطرابات واسعة الانتشار فى عام ١٩٠٦ وظلت هذه الاضطرابات والرمى بالرصاص تنشط عاماً بعد عام حتى سنة ١٩١٤^(١) بحيث أصبح يطلق على روسيا بلاد الاغتيالات والمؤامرات والشرطة السرية ، وقيام الحرب العالمية الأولى ودخول القيصر الحرب ضد المانيا كانت البلاد على حافة الثورة ، فقد كان هناك جماعات مختلفة من الروس يستعدون لاجداث انقلاب فى أسس الحكم ، ولما كانت روسيا غير مستعدة استعدادا كاملا للحرب حيث ينقصها الأسلحة والمعدات فقد اكتسح الألمان الجيوش الروسية مما جعل الوطنيين الروس يستنكرون عجز قيادتهم ، وعدم كفاية القائمين

(١) — شينى : تاريخ العالم الغربى ص ٣٥٨ — ٣٦٣ .

بالامر على تسيير دفة الحرب وينددون بالفساد الذى استشرى فى دواوين الحكومة كما انتشرت الشائعات عن متاجرة النبلاء فى الاسلحة الفاسدة^(٢) ، مما ادى الى واد الروح المعنوية بين الشعب والجيش على السواء ، وقد تواتت الهزائم على الجيش الروسى ، ووقع الملايين من جنوده فى ميادين القتال بين قتلى وجرحى مما ادى الى قيام الاضطرابات فى البلاد ووقوع المظاهرات العنيفة التى تطالب بمحاكمة القواد وكبار رجال الحكومة الذين سببوا لروسيا كل هذه الكوارث ، خاصة بعد أن اتضح للجميع أن الانتصار فى الحرب أمر بعيد المنال ، ونتيجة لذلك اهتزت صورة القيصر فيقول الثانى بشكل بارز ، وبدأ معارضوه فى انتزاع التنازلات منه تنازلا وراء تنازل ، وبدأت تراود أذهان الشعب ضرورة تنازله عن العرش وفى ذلك الوقت انتشرت روح التذمر والقلق واليأس فى نفوس الجيش الروسى ، مما ادى الى توفر عوامل الهزيمة وانعدام النظام ، وعدم الثقة فى قيادة الجيش . لذلك يمكن القول أن الجيش الروسى كان عاملا من أهم العوامل لتقيام الثورة فى روسيا عام ١٩١٧ كذلك كانت أحوال البلاد الاقتصادية تدعو الى التذمر ، خاصة وأن المواد التموينية الأساسية ندرت الى حد يندى بالمجاعة . وفى ٨ مارس ١٩١٧ غادر العمال مصانعهم فى بتروغراد وتظاهروا فى الشوارع مطالبين بالخبز وانضم اليهم العديد من الفلاحين .

وقد انتهزت بعض العناصر المتطرفة ذلك الموقف فرفعت الاعلام الحمراء واللافتات الثورية التى تحرض على قلب نظام الحكم ، وفى الحادى عشر من مارس حدثت حركة تدمر بين الجنود فانضموا الى حركة العمال وما لبث الموقف أن تطور بأن سيطر الجنود والعمال على العاصمة . واجتمع أعضاء مجلس الدوما وقرروا تعيين لجنة مؤقتة لتسلم السلطة ، وفى الوقت نفسه كون العمال المضربون مجلس السوفيت الذى انتخب لجنة تنفيذية مؤقتة لتسلم السلطة . وهكذا أصبح فى المدينة لجنتين ثوريتان كل منهما تدعى السلطة ، وقد حدثت محاولات لادماج اللجنتين فى حكومة واحدة مؤقتة حتى تم ذلك ودخل الوزارة (كرنسكى Kerensky) وهو اشتراكى معتدل . وفى اليوم

(٢) عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ص ٢٢٢ .

الرابع عشر من مارس حاول القيصر الوصول الى بتروغراد ولكن العمال المضربون أجبروا قطاره على التوقف حيث نزعوا قضبان السكك الحديدية . ولما أصدر القيصر أوامره بالاستيلاء على بتروغراد ، والضرب على أيدي العصاة رفض قواد الجيش أوامره خشية اندلاع حرب أهلية وانضمت أغلبية قواتهم الى الثورة مما اضطر القيصر الى اصطناع المسالمة بأن حاول تأليف وزارة مسؤولة . ولكن الثوار صمموا على تنازله عن العرش فاضطر الى اعلان تنازله لأخيه الدوق ميخائيل ، وعلى الرغم من ذلك فان المنكية في روسيا بدأت تنقد أنصارها بين صفوف الشعب خاصة وان الدعوة الى الجمهورية كانت مطلبا شعبيا ، ونتيجة لذلك ذهب وفد من نواب الدوما الى الدوق ميشيل يطالبونه بالتنازل عن الوصاية فاضطر الى تلبية نداء الثورة وتسليم الحكم لحكومة مؤقتة ، مصرحا بأن اختيار النظام السياسي في روسيا أصبح منذ الآن من خصائص الجمعية التأسيسية . وهكذا تغير النظام السياسي في روسيا بطريقة سلمية ، وبدون اراقة دماء .

ونظرا لأن الحكومة المؤقتة التي تسلمت الحكم كانت تتكون من العناصر البرجوازية وتهدف الى تأسيس دولة دستورية ديمقراطية برلمانية فان طبقات الروس الشعبية انطرفة بدأت تنظم نفسها لكي تضرب ضربتها في الوقت المناسب ، فتألفت في جميع أنحاء روسيا جمعيات سوفيتية (سوفيت معناها بالروسية مجلس) .

وفي تلك الفترة انقسم الروس الى عدة كتل مختلفة ، كتلة كانت أكثر الجماعات اعتدالا وقد أطلق عليها جماعة الاكثوريين لأنهم كانوا يطالبون القيصر بتحقيق ما جاء في تصريح أكتوبر ١٩٠٥ باحترام آحرريات الشخصية ومنح مجلس الدوما سلطة واسعة في سن القوانين وكانوا يؤيدون قيام حكومة مسؤولة امام مجلس الدوما واغلبية هؤلاء كانوا من الاشراف الاحرار ، وهناك حزب الديمقراطيين الدستوريين ويطلق عليهم اسم « الكادت Cadets » وهذا الحزب يطالب بالمسؤولية الوزارية واتساع سلطة مجلس الدوما وغالبية أعضائه من الجامعيين ، وأرباب المهن والراسماليين .

أما المتطرفون فهم الثوريون الاشتراكيون ، ومعظمهم من الفلاحين . وكان هؤلاء يهدفون الى نقل الملكية الخاصة الى الملكية العامة وبذلك تصبح الأرض ملكا للشعب كله .

أما الحزب الديمقراطي الاشتراكي فقد انتشرت أفكاره بين عمال المصانع الذين كانوا يشعرون بالظلم الاجتماعى وبرغبون فى وضع أيديهم على المصانع وطرده الرأسماليين وتقليل ساعات العمل ، وزيادة الأجور . وكان هدفهم الأكبر سقوط القيصرية واقامة الجمهورية^(٣) ، وقد انقسم هؤلاء على أنفسهم فى عام ١٩٠٣ حتى أصبحوا مجموعتين فريقا تزعمه لينيين وهو لا يوافق على سياسة الاعتدال أو الاصلاح التدريجى بل هدفهم الوصول بالطبقة الكادحة الى اهدافها واستلام السلطة بالقوة وأما الفريق الآخر فكان أعضاؤه يرون ضرورة كبح جماح الثورة وتطبيق النظام الاشتراكى بالتدريج ولما أخذت الأصوات على هذين الرايين انضمت الأغلبية الى لينيين . لذلك أصبحوا يعرفون باسم « البلشفيك » وهى كلمة روسية بمعنى الأغلبية أما الفريق الآخر فأصبحوا يعرفون باسم المنشفيك بمعنى الأقلية ولما كان البلاشفة يستهدفون تحقيق زعامة الطبقة العاملة ، وتحقيق التعاون مع جماهير الفلاحين والسير بالثورة حتى الانتصار النهائى^(٤) ، فقد هاجم لينيين الحكومة لعجزها عن معالجة شؤون التموين وشؤون الحرب . واستطاع أن يجمع حوله الأتباع والأنصار من المتطرفين . وأصدر بيانا أوضح فيه برنامج حزبه الذى يتلخص فى الإسراع بعقد صلح عام ، ومصادرة الضياع الواسعة وأن تصبح المصانع للعمال أنفسهم . وأن يراقب الشعب الانتاج وتوزيعه . وبينما كان البلاشفة ينادون بمبادئهم كانت الحكومة المؤقتة تعتمز مواصلة الحرب ، وعدم التخلّى عن الحلفاء معتقدة أن احراز أى نصر يتقوى من مركز الحكومة المؤقتة .

(٣) البطريق ص ٢٢١ — ٢٢٦ .

(٤) هيئة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى : تاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى ، بيروت ، دار الفارابى ١٩٥٤ ، ص ٢٣٧ .

وفي أواخر يونيو ١٩١٧ قام الجيش الروسي بالهجوم على الجبهة الألمانية النمساوية ولكنه تحطم أمام القوات الألمانية وتحطمت أعصاب جنوده ، وشرعوا يفرون مذعورين . وبينما كان هذا يحدث في ميدان القتال كانت أحوال روسيا تسير نحو الانقلاب ففي السادس عشر من يوليو بذل البلشفيك أول محاولة جديّة لهم لتنظيم الثورة الداخلية في « بتروغراد » اشترك في اشغالها عدد كبير من جنود العاصمة المتشبعين بالدعاية البلشفية . كما اشترك فيها مجموعة مسلحة من العمال وقامت المظاهرات تنادى بسقوط الحرب وسقوط الوزراء الرأسماليين كما انتشرت الأعلام الحمراء ، ولكن الحكومة تمكنت من اخماد هذه الثورة مما جعل لينين يشعر بضرورة تأييد الأقاليم لحزبه ، وأهمية نشر الدعاية بين رجال الجيش أنفسهم .

وفي ذلك الوقت كان الموقف الحربى لروسيا يسير من سىء الى الى أسوأ . كما قامت في القرى حركات ثورية للاستيلاء على الأراضى . وقامت في المدن مظاهرات تطالب بالطعام ونتيجة لذلك نشر البلاشفة ندائهم المعروف « السلام للجيش والأرض للفلاحين ، والمصانع للعمال » وزداد أنصار البلشفيك حيث انضم اليهم الفلاحون ، والعمال ، والجنود . خأدرك لينين أن الوقت حان لحسم الموقف ، فاجتمع باللجنة المركزية للحزب البلشفيكى سرا في شهر أكتوبر حيث تقرر القيام بثورة مسلحة ضد الحكومة المؤقتة والقبض على أعضائها ، وتكوين حكومة جديدة مؤقتة أطلق عليها من نوفمبر احتلت القوات البلشفية أبنية المرافق العامة في بتروغراد في أثناء الليل . وفي الصباح صدر بلاغ بلشفيكى يعلن عن سقوط الحكومة المؤقتة والقبض على أعضائها ، وتكوين حكومة جديدة مؤقتة أطلق عليها اسم المجلس السوفيتى لوكلاء الشعب ، وانتخب لينين رئيسا لهذا المجلس^(٥) . وكان أول الأعمال التى قامت بها هذه الحكومة هى عقد معاهدة مع ألمانيا سنة ١٩١٨ بغرض التخلّى عن الحرب ضدها والتفرغ لبناء المجتمع الروسى ، وتحويله الى الاشتراكية ، ونتيجة لذلك تمكن لينين من التفرغ لتنظيم البلشفية داخل روسيا واقامة دكتاتورية الطبقة العاملة .

ولكن ذلك الأمر لم يكن سهلا حيث قامت معارضة مسلحة قوية من أنصار القيصرية ومن أعداء البلشفيك للانقضاض على حكومة لينين ، وساعدهم على ذلك الدعم العسكرى الذى قدمه الحلفاء الغربيون لهم ، حيث ضايقهم تسليم البلشفيك للألمان فاستمر الكفاح محتدما لمدة ثلاث سنوات ، مما زاد الأمل فى نفوس العناصر المناهضة للبلشفيك « الروس البيض » وأقدموا على تنظيم قواتهم بمساعدة الجيوش الأجنبية لاقامة حكومات بيضاء ، وقد تأسست فعلا (حكومة روسيا الشمالية المؤقتة) كما قام غيرهم بتأسيس حكومات أخرى فى جنوب روسيا مناهضة للروس الأحمر ، ولما اشتد النضال بين الأحمر والبيض أحس البلشفيك بخطورة وجود انقيص نفولا الثالث وأسرتة احياء حيث أن ذلك يشجع العناصر المعادية للثورة على اعادته فقاموا باعدامه هو وأسرتة رميا بالرصاص ، ولما بدأت قوات الروس البيض الهجوم واقتربت من مدينة بتروغراد (ليننجراد فيما بعد) التحم معها الجيش الأحمر وردها على أعقابها كما تمكن البلشفيك من طرد الحكومات التى تآلفت فى اوكرانيا وروسيا البيضاء وقبضوا على زمام السلطة فى الولايات والفوا بها حكومات تابعة لهم ، وأثبتوا قدرتهم فى الاعتماد على سواعدهم فى اقامة دولتهم^(٦) ، ونتيجة لذلك اصعدوا دستورا فى ربيع ١٩١٨ تأسست بمتنصاه « جمهورية السوفيت الاتحادية الاشتراكية الروسية وتقرر أن تكون موسكو العاصمة وأصبحت روسيا دولة اتحادية تستمد قوتها من دكتاتورية الطبقة العاملة .

مما سبق يتضح أن الثورة الروسية قامت نتيجة لعاملين هما :

١ — الظلم والفساد والأزمات الاقتصادية داخل روسيا .

٢ — دخول روسيا الحرب دون أى استعداد لها .

وقد نجحت هذه الثورة فى اسقاط الحكومة القيصرية واقامة النظام البولشفي الذى استمد فكره من كتابات ماركس التى تنادى باتمامة الشيوعية كنظام يقوم عليه المجتمع ، والذى أعلن قيام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية على أساسه .

وفي يناير ١٩٢٤ تولى لينين ، وخلفه في السلطة جوزيف ستالين الذى أعلن مشروع السنوات الخمس الأولى لتصنيع روسيا وجعل الأرض ملكا للدولة ، كما أعلن عن خطته القائمة على تحقيق الاشتراكية في دولة واحدة على خطة الثورة العالمية وفي عهد ستالين دخل الاتحاد السوفيتى الحرب العالمية الثانية .

والمعروف ان جوهر النظام الشيوعى لا يتفق مع الملكية الخاصة أو مع وجود الله بل يرى ضرورة هدم النظام الرأسمالى من أساسه ونشر المذهب الشيوعى فى جميع أنحاء العالم ، كما ينكر الأديان ويدعو الى هدمها .

وقد نجح الشيوعيون فى روسيا فى أن يكون حزبيهم هو الحزب الأوحد ، وفى أن يكون القوة المسيرة لأمر الحكم فى الاتحاد السوفيتى .

وقد استطاع النظام الشيوعى فى روسيا الوقوف فى مواجهة الرأسمالية الغربية ، وتزعم النضال ضدها .

ومن المعروف أن النظام الشيوعى هو الوحيد الذى بقى بعد الحرب الثانية بين الأنظمة الأخرى حيث انهضت الفاشية والنازية ، وظل هو متربعا على مصائر الشعب السوفيتى حتى ظهرت سياسة جورباتشوف الإصلاحية ، فانتهى دوره القيادى وانقرط عقده فى الاتحاد السوفيتى وشرق أوروبا .

ثانيا - الفاشية فى ايطاليا :

كلمة فاشية مأخوذة من الكلمة اللاتينية Fasces وكانت تطلق حزمة العصى التى كانت تحمل فى الاحتفالات الرسمية أيام الرومان كرمز للسلطان والقوة .

ويرجع أسباب قيام هذا النظام فى ايطاليا الى شعور الايطاليين بالظلم الذى لحق بهم ، وخيبة الأمل التى انتابتهم نتيجة لخروج ايطاليا من الحرب العالمية الأولى خالية الوفاض . فعلى الرغم من انها كانت تدخل

في عداد الدول المنتصرة في الحرب ، فانها لم تحصل من مؤتمر الصلح بفرساي سوى على الفتات فقد انتشرت البطالة ، وتفاقت الأزمة التموينية ، وظهرت حركات الاضطرابات والعنف ، وبدأت الأفكار الشيوعية في الانتشار .

ونتيجة لتعدد الأحزاب المتناقضة في أهدافها خلال هذه الفترة ، وضعف الحكومات عن كبح جماح الفوضى ظهر « بنيتو موسوليني » بمذهبه الفاشي الذي يقوم على انتقاد النظام الديمقراطي والحريسة البرلمانية ، ووجد آذانا صاغية من الايطاليين له .

ونظرا لأهمية الدور الذي قام به موسوليني في تغيير الأمور في ايطاليا نعرض له بشيء من التفصيل .

موسوليني :

ولد بنيتو موسوليني في ٢٩ يوليو ١٨٨٣ من أسرة بسيطة فكان والده حدادا ، وأمه معلمة .

وبعد أن انتهى موسوليني من تعليمه ، عمل في حقل التدريس فترة ثم تركه ، وسافر الى سويسرا حيث زاول أعمالا عديدة كان منها البناء ، وكان كثيرا ما يطرد من أعماله نتيجة لعدم رضا رؤسائه عنه ، كما حكم عليه بالسجن أكثر من مرة ، ومن أجل هذا غادر سويسرا الى باريس ، ولكن المقام لم يطب له هناك فطرد منها بتهمة التشرد وبعدها انخرط في سلك الجيش ثم تركه وعمل بالصحافة ، وكان في البداية من المعارضين لدخول ايطاليا بالحرب العالمية الأولى ، وبعد الحرب بدأ نجم موسوليني في الظهور حيث كون حزبه الفاشستي في عام ١٩١٩ والذي كانت من أهم مبادئه معارضة الأحزاب الرأسمالية والهجوم عليها ، والوقوف في وجه الشيوعية ، وتنظيم ايطاليا والدفاع عن مصالحها القومية والاستعمارية .

وقد أعلن موسوليني أن هدفه الأساسي هو مصلحة ايطاليا ، وأنه يجب التعاون ، والتكاتف ، من أجل انعاش مستقبل بلاده .

وقد أخذت مبادئ الحزب الفاشستي تنمو وتتطور في أنحاء إيطاليا ، واستطاع أن يكتسب الإيطاليين الى جانبه ، وخاصة طبقة العمال .

وقد أعلن موسوليني في نهاية شهر سبتمبر ١٩٢٢ تأييده للنظام الملكي الدستوري ، وفي أكتوبر من العام نفسه عقد موسوليني مؤتمرا فاشستيا في مدينة نابلى قرر فيه الزحف على روما ، وقد وصلها دون مقاومة تذكر .

وقد شن أتباع موسوليني حربا شعواء على الشيوعيين تحت اسم البوليس الإيطالى وبصره وتفاقت الاضطرابات وأصبحت شوارع إيطاليا مجالا للمعارك بين الفاشيست والشيوعيين ، ونتيجة لذلك طلب رئيس وزراء إيطاليا من الملك « عمانوئيل الثالث » إعلان الأحكام العرفية ولما رفض الملك طلبه تقدم استقالته في ٢٧ من أكتوبر ١٩٢٢ وانقادا للموقف دعا الملك موسوليني الى تأليف الوزارة الجديدة ، فزحفت فرق القمصان السوداء على روما ، وتقلد موسوليني زمام الأمور فقيد حرية الصحف ، وألحق بخصومه ألوانا عديدة من الإرهاب فاغتال بعضهم واعتقل البعض الآخر حتى تمكن من الانفراد بالزعامة ، واستطاع ببراعته أذكاء حماس الجماهير الإيطالية واثارة حميتها وتوليد ثقتها في بناء إيطاليا القوية ، مما جعل الأمة الإيطالية تعطى ثقتها الكاملة له فجمع كل السلطات في يده وأصبح صاحب السلطة في كل إيطاليا ، فهو الذى يعين الوزراء ، ويعزلهم ويقود الجيوش ، ولم يعد للملك أى سلطة سوى توقيع المراسيم .

وخلال ذلك قام موسوليني بإعادة التعليم الدينى الى إيطاليا ، كما أقام علاقات ودية مع البابوية ، وروج لفكرة أن الدولة والأمة تتجسدان في شىء واحد هو الحزب ، وحتى تتمكن الدولة من التفوق على غيرها كان يرى إخضاع حرية الفرد لمشئئة الدولة طوعا أو كرها ، ومن هنا حظر قيام الاضطرابات وأخذ في إلغاء الحريات الفردية وشدد من مراقبة الدولة لحياة الخاصة ، كحياة الأسرة والحياة الفكرية والدينية .

ومع أن النظام الفاشى في إيطاليا نجح في زيادة الكفاية الادارية ، وزيادة الانتاج الزراعى ، باستصلاح الأراضى في بقاع كثيرة من إيطاليا ،

وكذلك النهوض بالصناعة والعمل على رفع المكانة القومية لدى الإيطاليين ، فان معاناة الإيطاليين خلال حكم موسوليني المستبد كانت واضحة ، ونظرا لضعف قدرات إيطاليا الاقتصادية رأى موسوليني أن تصبح لبلاده السيادة على البحر المتوسط ، وتطلع الى الاستيلاء على « رودس » و « ليبيا » ، كما أخذ يضغط بقوة لمشاركة فرنسا وبريطانيا في اقتسام الدول العربية . فدعا الى مشاركة إيطاليا في ادارة إقليم طنجة ، والى تعديل الحدود بين ليبيا ومصر ، والى تقوية مركز الإيطاليين في تونس .

وكانت لمعارضة الدول الاستعمارية لأطماعه أكبر الأثر في تحويله تجاه ألمانيا النازية ، ودخوله الحرب العالمية الثانية بجانبها .

وعلى الرغم من أن الفاشية تخذلت عن الشيوعية في العديد من النواحي الاجتماعية ، والاقتصادية ، خاصة من ناحية ملكية الفرد لوسائل الإنتاج ، فكلاهما يؤكد حقوق الجماعة القومية تجاه حقوق الفرد ، وكلاهما بغالى في سلطة الدولة تجاه مراقبة جميع أشكال الحياة القومية وحتى الأسرة وكلاهما ، ينتقد الحرية البرلمانية والنظم الديمقراطية ، والى جانب ذلك فان كلا من هذين المذهبين يعتنق فكرة الحزب الواحد الذى تسمح به الدولة دون غيره .

ثالثا - النازية في ألمانيا :

تتكون كلمة نازى من الحروف الأربعة الأولى لكلمة Nazioal

الألمانية والتي تعنى « قومى » أو « وطنى » ، وقد سطر أدولف هتلر أفكاره حول هذه النظرية في كتابه « كفاحى » والتي تعد من أهم نظريات الحكم الدكتاتورى الذى برزت صورته قبيل الحرب العالمية الثانية ، كما تعبر عن شهوة السلطان والسيطرة التى تغلبت على نفس هتلر ، ورغبته في احداث ثورة عالمية تمكنه من تنظيم الحياة البشرية على سطح الأرض وفقا للقواعد والمبادئ التى حددها وهى حق الشعب الألمانى فى السيطرة على العالم ، والتي كان من الممكن أن تؤدى الى تمزيق أوصال الحياة الاجتماعية ، وضياع معظم المعانى التى تسيغ على الحياة معنى كريما .

ولما كانت الحرب العالمية الأولى قد انتهت بهزيمة ألمانيا وتوقيع معاهدة فرساي التي كان لها أكبر الأثر في معاناة الشعب الألماني خارجيا وداخليا ، فقد استغل هتلر سخط الأمة الألمانية ورغبتها في الفكك من معاهدة فرساي التي أثقلت كاهل الشعب الألماني وكبلت اراداته وبدأ في الدعوة الى النازية .

ولاهمية الدور الذي قام به هتلر في تغيير مصير ألمانيا والعالم نعرض له بشيء من التفصيل .

١ — ولد أدولف هتلر في ٢٠ من ابريل ١٨٨٩ في احدى القرى على الحدود النمساوية الألمانية .

٢ — عاش هتلر طفولة بائسة اذ توفى والده وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ولم يترك له سوى الفتات ، لذلك لم تتح له فرصة التعليم العالي بل ترك دراسته بحثا عن الرزق ، وانتقل الى فيينا من أجل ايجاد فرصة للعمل وهناك عانى الكثير من المصاعب والمتاعب .

٣ — كانت القراءة هي صديق هتلر الوفي ، وبفضل المطالعة تبلورت آراؤه ، والى جانب ذلك كان هتلر من هواة الرسم . وقد اضطرت ظروفه المعيشية الصعبة الى أن يبيع بعض الصور ، ويقتات من ثمنها .

٤ — التحق هتلر بالجيش ، وتطور مركزه به خلال الحرب العالمية الأولى فوصل الى درجة عريف ، وقد أصيب في احدى المعارك ونقل الى احدى المستشفيات ، ولكنه لم يتم تسريحه بعد الحرب بل عمل مع فرق الأمن المكلفة بالرقابة السياسية على الأحزاب ، وقد تأثر كثيرا لهزيمة ألمانيا في الحرب ، وحمل الخونة أسباب الهزيمة وسماهم « خونة نوفمبر » .

٥ — التقى هتلر في ميونخ عام ١٩١٩ بحزب العمال وهو الحزب الذي يعتقد آراءه نفسها واستطاع أن ينتزع رئاسته واعطى لأنصاره اسما جديدا هو الحزب النازي .

٦ — تفرغ هتلر للعمل السياسى وترك الجيش واستفاد من الأزمات التى حلت بألمانيا فعندما احتل الفرنسيون الروهر وانخفض سعر العملة الألمانية قام هتلر بأول محاولة انقلابية فى ميونخ والتى كان على أثرها اعلان جمهورية فيمار وترشيح زعيم المحافظين لتولى المنصب ولكن الحكومة المركزية استطاعت القبض على القائمين بالانقلاب ووضع هتلر فى السجن لمدة ٤ سنوات ، وخلال ذلك تزايدت شعبيته .

٧ — ألف هتلر كتابه « كفاى » وهو فى السجن وضمنه أهم آرائه السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما ضمنه نظرياته الخاصة التى اتخذ منها فى المستقبل أسس عمله ، ومنها ضرورة القضاء على اليهود والشيوعيين الذين مكثوا الحلفاء من الانتصار على ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى .

٨ — أطلق سراح هتلر عام ١٩٢٤ ، أى بعد مضى عام من سجنه نتيجة لضغط الراى العام ، وأخذ أنصاره فى الازدياد .

٩ — تولى هتلر منصب المستشارية فى الثلاثين من يناير ١٩٣٠ علما بأنه لم يهتم كثيرا بالمناصب الرسمية بل كان يستند على مركزه الشخصى فى الزعامة وكان اللقب المحبب اليه هو الفوهرر أو الزعيم .

١٠ — كان للنازية مبادئها الفلسفية حتى عدها بعض النازيين دينا جديدا وقام هتلر بتغيير كل شىء فى ألمانيا فحطم الحرية السياسية وغير اقتصاديات ألمانيا ومالياتها وألغى نظام الولايات المنفصلة وجعل ألمانيا أمة موحدة وصمم على تحريرها من قيود معاهدة (فرساي) وقد رسخ فى ذهن هتلر ملاحظات أستاذ التاريخ (دكتور ليوبولد وتش) أن النمسا جزء لا يتجزأ من ألمانيا وأن زوالها بوصفها دولة مستقلة أمر ضرورى للأمة الألمانية .

١١ — لقد تمكن هتلر من السيطرة على ألمانيا مستغلا نقط الضعف فى جمهورية فيمار وعدم قدرتها فى السيطرة على الأزمة الاقتصادية التى تعرضت لها ألمانيا اذ كان يعمل على اثاره الرأسماليين والاشتراكيين

بالتبادل كل منهما ضد الآخر متظاهرا بالتحول في اتجاه واحد ثم في الاتجاه الآخر ولذلك تمكن من الوصول الى هدفه بعدة خطوات غير مباشرة .

١٣ — أخذ هتلر يجامل الضباط القدامى حتى أقسموا له يمين الولاء ، ويمين الولاء الذى قام هتلر بتأليفه هو (أقسم بالله هذا اليمين المفظ انى سأطيع طاعة عمياء فوهرر المانيا والشعب أدولف هتلر القائد الأعلى للقوات المسلحة وأكون مستعدا كجندى شجاع أن ابذل حياتى فى أى وقت دفاعا عن هذا القسم) وقد ارتبط الجيش والشعب الألمانى بهذا القسم وأصبح مرتبطا قلبا ومقالبا مع هتلر .

١٣ — سارع هتلر فى حل الأحزاب الألمانية ومصادرة أموالها .

١٤ — لقد نجح هتلر فى بناء الآلة العسكرية الألمانية وهو صاحب فكرة تطور الأسلحة والأفكار الحديثة فى الحرب خفيفة الحركة وينسب اليه التمهيد لظهور فكرة الحرب الخاطفة التى نجحت فى بولندا وفرنسا كما رحب القادة العسكريون بأحياء هتلر للقومية الألمانية وأذكائه للروح العسكرية وأشعاله للشعور الوطنى .

١٥ — لعبت النازية دورا هاما وبارزا فى الحياة الألمانية التى استطاع صاحبها بطموحه وحبه للمغامرة وقوة ارادته وموهبته الخطائية وقوة بيانه ، وقدرته فى استعمال التهكم أن يجذب اليه الشعب الألمانى بشكل يفوق الوصف ، ويرسخ فى ذهنه أن جيشه هو أساس تقدم الحضارة البشرية وأن الجerman هم سادة الجنس البشرى الذين قدر لهم من الأزل أن يؤلفوا الطبقة الحاكمة فى العالم ، وأنه يجب نقاء الدم الأرى لأن الأمة الألمانية لا تكون توية الا اذ عرفت كيف تحافظ على نقاء عرقها ، كما أنه لا يمكنها سيادة الجنس البشرى الا اذا كانت ارادتها فى يد زعيم اوحد قوى تساعد نخبه من أقدر العقول وأبرزها فى المانيا حتى يتمكن الجerman من سيادة الجنس البشرى ، وانشاء المانيا الكبرى التى تضم كل الألمان .

ولما كان الشعب الألماني يرغب في إزالة العار الذي لحق به من معاهدة فرساي ويأمل في أن يعاد إلى ألمانيا استقلالها وسيادتها الفعلية وأن تسترد الأراضي التي فقدتها في عام ١٩١٩ فقد رحب بوصول هتلر إلى الحكم ، واتجهت الأنظار إليه وإلى حزبه الذي تتلخص أهدافه في بعث الأمة الألمانية وحياء مجدها الحربى .

وبعد وفاة الرئيس هيندنبرج في أغسطس ١٩٣٤ أصبح هتلر هو الرجل الأول في ألمانيا حيث جمع بين رئاسة الدولة ، ورئاسة الحكومة . ووافقت البلاد على ذلك في استفتاء عام بأغلبية كبيرة . ومن هنا بدأ هتلر في تكوين الرايخ الثالث^(٧) .

ويعد الرايخ الثالث وزعيمه هتلر صورة من صور الحكم المطلق المتطرف ، فهتلر كان الزعيم الأوحد ، وحزبه هو الحزب الوحيد ، فما انتصف عام ١٩٣٣ حتى كانت جميع الأحزاب غير النازية قد حلت ، وأصبحت وظيفة الريخستاج هي الاجتماع للموافقة على أعمال الزعيم .

وكان على الألماني أن يختار بين أن يكون نازيا أو أن يصبح خائنا ، وحتى يرهب هتلر خصومه قام بتشكيل منظمات الكفاح المكونة من الحرس الأسود ، وذوى القمصان الحديدية ، كما قام باضطهاد اليهود ، والديمقراطيين الاشتراكيين ، والشيوخيين ، وأخذت طوائف كبيرة منهم إلى معتقلات خاصة لاقوا فيها من العذاب أقساه كما اغتيل الكثيرين منهم .

هذا عن النواحي الداخلية . أما عن النواحي الخارجية فقد انتقد هتلر فرنسا ووصفها بأنها العدو الأول لألمانيا الذي يجب سحقه ، وطالب بضم الأقليات الألمانية إلى الرايخ الثالث ، ونظر إلى شرق أوروبا على أنه مجال واسع لأطماع بلاده ، يضاف إلى ذلك أنه قام بتسليح ألمانيا سرا ، كما بدأ في إنشاء سلاح جوى لبلاده ، مما كان تحديا واضحا لشروط معاهدة فرساي .

(٧) من أقوال هتلر المأثورة أن الريخ الأول هو دولة بسمارك ، والريخ الثانى هو جمهورية فرساي ، والريخ الثالث هو دولتى .

ولكى يمتلك هتلر حرية الحركة بشكل أوسع قام بالفاء معاهدة فرساي التي عدّها المسؤولية عن كل المصائب التي لحقت بألمانيا فكرر بذلك نظام نزع السلاح وأدخل نظام التجنيد الإجبارى فى ألمانيا بهدف إعادة قوة ألمانيا العسكرية وتوطيد سيادتها ، وحاول ضم الأقاليم الأوربية الناطقة بالألمانية الى الرايخ الثالث ، ولما كانت عصبة الأمم هى العقبة أمام هتلر فى تحقيق هذه الأهداف فقد انسحب منها مما أدى الى تدهور الموقف ، وفيما يلى نعرض لهذه المراحل بالتفصيل .

١ - كسر نظام نزع السلاح :

من المعروف أن معاهدة فرساي نصت على تجريد ألمانيا من السلاح ، وعندما استطاع هتلر الوقوف الى قمة السلطة فى ألمانيا طلب من عصبة الأمم الاعتراف بحق ألمانيا بالمساواة فى الحقوق فى الدول الأخرى من حيث التسلح .

ولما احتدمت المناقشات داخل أروقة العصبة بهذا الخصوص وأعلنت بريطانيا وفرنسا معارضتها لهذا الطلب أعلن هتلر انسحاب بلاده من عصبة الأمم وتحررها من كافة المواثيق والمعاهدات التى كبلت حرية بلاده وتفوقها .

٢ - فرض الخدمة العسكرية :

فرض هتلر نظام التجنيد الإجبارى فى ألمانيا على الرغم من قيود معاهدة فرساي بخصوص عدم إعادة بناء الجيش الألمانى ، كما أعلن أنه سينشئ طرانا عسكريا ، مما أزعج الدول الأوربية ، وأدى الى احتجاج بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبعض الدول الموقعة على المعاهدة .

٣ - محاولات هتلر ضم الأقاليم الأوربية الناطقة بالألمانية :

لما كانت منطقة السار قد فصلت عن ألمانيا بموجب معاهدة فرساي ووضعت تحت إدارة عصبة الأمم حتى يتم عمل استفتاء بين سكانها ، فقد طالب هتلر بإعادتها دون استفتاء ثم قبل الاستفتاء بعد ذلك لاعتقاده بضمّان نتيجته ، ونتيجة لذلك عادت منطقة السار الى ألمانيا .

يضاف الى ذلك قيام هتلر بتسليح منطقة « رينانيا » المنزوعة السلاح وجعلها منطقة عسكرية ، مما اثار ثائرة فرنسا ، وجعلها تطالب بريطانيا بالعمل الجماعى ضد هتلر . والى جانب ذلك حاول هتلر ضم الممر البولندى ، واتفق مع روسيا على اقتسام بولندا .

كل هذه المؤشرات كانت بمثابة النذير بقيام أزمة دولية قد تقلب موازين الأمور فى العالم ، وهذا ما تحقق فعلا بنشوب الحرب العالمية الثانية .

ومما سبق يتضح أن ظهور البولشفية والفاشية والنازية قد غير الكثير من أفكار النظم التى كانت سائدة فى العالم . وعند مقارنة هذه النظم الثلاثة السابقة يتضح مدى التشابه والاختلاف بينهما فمع أنها تؤكد على حقوق الجماعة القومية تجاه حقوق الفرد ، وتفالى فى سلطة الدولة ، وتقوم على نظام الحزب الواحد ، فانها تختلف فى وجهات النظر الاجتماعية والاقتصادية ، فالشيوعية لم تميز جنس على آخر بعكس النازية التى ترى أن العنصر الجرماني هو اعظم الأجناس .